تحويل القبلة
فى منظور الكتاب والسنة

أ . د محمود محمد لبده عميد الكلية

الإفضاء إلى مكنون أى قضية من قضايا التشريع الإسلامى ، واستخراج الأسرار المكتنة فى النص القرآنى أو الهدى النبوى ، والوصول فى دقة وحيطة من خلال الروايات المتعددة إلى النتائج الصحيحة هو أول مايحرص عليه الباحث المستبصر ، والفاحص الحكيم ، وذلك هو شعار الإسلام الذى علمه الله لنبيه ومن اتبعه فى قوله « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني »(١) .

وهذا الأسلوب فى البحث للوصول إلى الحق هو الذى ينشر فى الحياة معناها الصحيح ، ويباعد بينها وبين الجدل الزائف ، والسفسطة الفارغة والبرهان السخيف ، ويقر كل شيء فى موضعه على قصد وهدى ، ومن ثم تعرف الأمة دينها فى وضوحه ، وتشريعها فى سماحته ، ووحى ربها فى سهولته ويسره .

ومكابدة العلماء فى إرساء قواعد الحق ، ومراغمة الفكر الملتوى ، ومجاهدة النفوس المعقدة جزء لايتجزأ من ميراث الأنبياء وحلقة متصلة من حلقات الكفاح الفكرى الذى لايحتاج إلى المعانى قدر حاجته إلى الأسلوب العلمى الذى تظهر فيه هذه المعانى ليتحقق معنى الأسوة المنصوص

---

(١) يوسف ١٠٨

عليها فى قوله جل شأنه « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة »(١)
و « العلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر »(٢) ولن يتحقق هذا الحظ الوافر - من وجهة نظرى - إلا إذا كان العالم « إنساناً تتخيره المعانى السامية ، تظهر فيه بأسلوب عملى ، فيكون فى قومه ضربا من التربية والتعليم بقاعدة منتزعة من مثالها ، ومشروحة بهذا المثال نفسه »(٣) .

ثم كان بعد ذلك صوت الحق إذا تكلم ، وكلمة الصدق إذا كتب وقرر فهناك يسمع ما يقول ويشتفى بالقول منه ، وينفع التعليم والناظر فى كثير من قضايا التشريع الإسلامى يجد أنها فى الكتب التى دونتها والروايات التى هى منار السالك فى الوصول إلى كبد الحقيقة فيها ، من الاختلاف والتناقض بحيث يشعر ذوو الرصيد الضحل ، والثقافة السطحية ممن يحسبون على الإسلام كمًّا وعددا أنهم إلى الضلالة أقرب ، وأن الاطمئنان إلى ما يكتبه العلماء والمفكرون لن يكون إلا إذا وجدت القوة العقلية الساحرة التى تضع أيديهم على كل شىء ، حتى لو كان من البدهيات التى لا تحتاج إلى دليل أو برهان .

وكانت هذه الروايات أيضا سببا فى شرود بعض المفكرين المسلمين

---

(١) الأحزاب ٢١
(٢) رواه أبو داود وغيره بسند حسن وراجع شرح صحيح البخارى ١/ ١٦ باب العلم قبل القول والعمل
(٣) وحى القلم ٣/ ٤٠

عن جادة الطريق وفتح باب الخيال الجرىء حينا ، والمتوقح والمتبجح حينا آخر أمام كتاب أوربا ، وفلاسفة الغرب .

وأصدق مثال على ذلك ما كتبه محيي الدين بن عربى فى « الفتوحات المكية » عن الأسراء والمعراج وعن أرض المحشر ، وعن عرش الاستواء والكرسى والقدمين ، وأيد الوصف بالصورة المرسومة ، وكأنه قد كشف عنه أو أمامه حجاب الغيب فرأى كل شىء على نحو محسوس مجسم متسم وهو فى كل ما كتب أقرب إلى الكفر منه إلى الإيمان .

ومن ناحية أخرى فإنه كان من الخيوط القوية التى نسج منها (دانتى) قصيدته الرائعة (الكوميديا الإلهية) والخطوط الرئيسية التى أقام على أساس منها بناءه الهندسى الرائع .

وإنصافا للحق نقول : إن (دانتى) على الرغم من عقيدته المسيحية لم يتعرض للاسلام بأى أذى أو سوء مثلما تعرض له ابن عربى فى (الفتوحات المكية) وأبو العلاء المعرى فى (رسالة الغفران) .

وقضية تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام ، ونسخ الأولى بالثانية ، له مغزى خطير فهو يشير إلى معنى ، ويستتبع المعنى غيره ، وما أظن كثيرا من المفسرين فطن له أو نبه عليه .

وأول مايلفتنا من إيحاءات هذا الحدث هو التناسب العكسى بين البدء والنهاية فى قصة الإسراء والمعراج ، والبدء والنهاية فى أمر تحويل القبلة .

فقد بدأت رحلة الإسراء من المسجد الحرام وانتهت بالمسجد الأقصى كما قال سبحانه :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا » الاسراء : ١

وبدأت القبلة بالمسجد الأقصى وانتهت بالمسجد الحرام .

والمعنى الذى يفيء عنه هذا التناسب العكسى بين البدء والنهاية فى كلتا القصتين أو فى كلا الحدثين هو الذى أحدث التوافق ، وضاعف من اليقين ، وزاد المعنى نورا وهداية فقد كانت رحلة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس لتخلع ربقة ولاء اليهود على بيت المقدس بعد أن بدلوا وغيروا ونقضوا ونكثوا ، ومكروا ودبروا « ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله » «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به » المائدة : ١٣

وتنقلها إلى البيت العربى أو السلالة الإسماعيلية ، إلى قوم يعرفون لله حقه ويوفون بعهده ولا ينقضون الميثاق «الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب » الرعد : ٢٠ ، ٢١

ثم كان توجهه صلى الله عليه وسلم بأمر ربه إلى بيت المقدس فى الصلاة رمزا يؤيد المعنى الأول ، ويقوم منه مقام النتيجة الصحيحة من المقدمات السليمة فالقيادة الروحية لبيت المقدس منذ ذلك التاريخ للمسلمين لا للعبرانيين وآية ذلك أمران :

أولهما :

وصوله صلى الله عليه وسلم إليه ، والتقاؤه بالأنبياء والمرسلين فيه وهبوطه بعد عودته من المعراج إليه مرة أخرى ، وكان يمكن أن يعرج به من مكة إلى السماء مباشرة ثم يهبط به إلى مكة كذلك ، ولهذا مزيد بيان بعد ذلك إن شاء الله .

ثانيهما :

توجهه صلى الله عليه وسلم إليه بأمر ربه فى الصلاة التى فرضت عليه بالمباشرة لا بالوحى ينضاف إلى ذلك انعدام الفاصل الزمنى تقريبا بين هذه الأمور ، فما تنتهى واحدة حتى تبدأ معانيها فى الأخرى ، ولاتكون واحدة إلا ليكمل بها أجزاء الأخرى ، ولايتم تمام واحدة إلا بانضمامها إلى الأخرى . فصورة الارتباط التى لاتنفك بين أجزاء أو أطراف القضيتين يدل على أن كل قضية موضوعة وضعا لايتم تمام معناها إلا بالأخرى .

ويدل كذلك على الحكمة الإلهية بعلم من علمها هى التى رتبت كل هذا ترتيبا ينجلى به كل غموض ، وينكشف به كل إبهام ، فالإسراء إلى المسجد الأقصى ، ثم فرضية الصلاة فى مقام قاب قوسين أو أدنى ، ثم التوجه فى الصلاة إلى المسجد الأقصى .

وأما مايشير إليه تحويل القبلة من معنى فهو أن المسجد الحرام قبلة جميع الأمم فى صلاتهم بدءا بأبى الأنبياء إبراهيم ، وانتهاء بمحمد صلى الله عليه وسلم وآية ذلك أن القرآن الكريم ذكر أهل الكتاب وهو يتحدث

عن تحويل القبلة ثلاث مرات فيقول جل شأنه « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون »(١)

ثم يقول « ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ومابعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين »(٢)

ثم يقول : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك فلا تكونن من الممترين »(٣) .

وحينما يتحدث القرآن عن أهل الكتاب فإنما يعني اليهود والنصارى لأنهما أقرب أمتين من حيث القرب الزمني من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأنهما يدينان بدين واحد فتوراة موسى كانت تشريعا ، وإنجيل عيسى كان وعظا وإرشادا يصرح القرآن بذلك فيقول : « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين » المائدة : ٤٦

وعيسى عليه السلام يقول : « ماجئت لأنقض بل لأكمل » ولأن التوراة والأنجيل على الرغم مما أصابهما من تحريف وتغيير على يد هؤلاء

(١ ، ٢ ، ٣) البقرة ١٤٤ إلى ١٤٦

الذين قال الله عنهم « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون » البقرة : ٧٩

لا يخلوان من الآيات الصحيحة التى تشير إلى الحق ، وتشهد بالصدق أما أصحاب الكتب السابقة فإنهم لم يبق منهم إلا ماذكره القرآن الكريم عنهم وعن الكتب التى أنزلت عليهم .

ولا أجد بعد طول تصفح وتتبع معنى يوحى به ذكر أهل الكتاب فى موطن تحويل القبلة ثلاث مرات تصريحا وأكثر من خمس مرات بالضمير العائد عليهم غير المعنى الذى ذكرت وهو أن قبلتهم التى أمرهم الله بالتوجه إليها فى كتبهم وعلى لسان من أرسلوا إليهم هى المسجد الحرام ، وأى تأويل لقوله تعالى « وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون »[١]

وقوله : « ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين »[٢]

وقوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون »[٣] .

أقول : أى تأويل لهذه الآيات الكريمة غير ماذكرت أقرب إلى التكلف ، وتحميل الكلام غير دلالته القريبة الظاهرة ، مما يبعد بالمعنى

(١ ، ٢ ، ٣) البقرة ١٤٤ إلى ١٤٦ .

عن مجراه الطبيعى الذى هو أدل وأحكم ، وأوفى وأتم .

ثم إن القرآن الكريم فى هذه الآيات لايتحدث عن أهل الكتاب الذين لايستكبرون على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل إليه فهؤلاء مؤمنون وفيهم يقول الحق سبحانه (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين » المائدة : ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤

وإنما تحدث عن أهل الكتاب الذين عرفوا أمر القبلة وأنه الحق الذى لا محيص ولا مفر منه ، وعرفوا أن تلك هى قبلتهم الحقيقية التى أمروا بالتوجه لها ولكنهم اختلفوا على أنفسهم واتبعوا أهواءهم « ومابعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين » البقرة : ١٤٥

وعرفوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته الدالة عليه فى كتبهم ، ومطابقتها عليه تمام المطابقة ، لأنه كاشفهم بما أخفوه وكتموه ، وهم يعلمون أنه الحق « وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » البقرة : ١٤٥ ، ١٤٦

وإلا فليس من المعقول أن يصفهم القرآن بكل هذه الصفات وهم لايعلمون عنها شيئا وكيف يشهدهم الله على مالم يشهدوه ؟ بل كيف يستنطقهم ويكاشفهم بما ليس عندهم به علم ؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وإذا كان الله قد ذكر أن لهم قبلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يتبعها ، فقد أعقب ذكر هذه القبلة التى هم عليها بما يدل على أنها من قبيل الهوى ، وليست مما أمر الله به فبعد أن قال : (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم) عقب بقوله :

(وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين)

ولو كانوا على الحق الذى أوحى به إلى موسى وعيسى لكانوا على قبلة واحدة بل لآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن ما جاء به عيسى وموسى ومحمد يخرج من مشكاة واحدة ، ولكنهم اختلفوا فصار لكل فريق قبلة (إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يونس ٩٣

وكثيرا ما كان القرآن يستشهد بأهل الكتاب ، لينبههم إلى الحق الذى حادوا عنه لعلهم يرجعون إليه ، ولو رجعوا إليه لآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهو ما لا يرضاه الكثير منهم .

وليشهدوا على أنفسهم بالضلال والتحريف والكفر حتى يقطع عليهم كل سبيل للعذر ، والإنسان يستطيع أن يكذب على الناس جميعا ويخدعهم جميعا ، ولكنه لا يستطيع أن يكذب على نفسه ، أو يخدع نفسه وهى تعرف الحق ، فيقول جل شأنه لنبيه صلى الله عليه وسلم (فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) ثم يقول له مثبتا ومطمئنا (لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن

من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) يونس : ٩٤ ، ٩٥
ثم يقول له مثبتا ومطمئنا أيضا : (فتوكل على الله إنك على الحق المبين)
(النمل ٧٩)

ومن أجل هذا ، وتدليلا على صحة ما نقول ، ذلك الحوار الذى داربين أكبر حبر من أحبار اليهود وهو عبدالله بن سلام ، وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حين سأله عمر عن معرفته برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن سلام : لقد عرفت محمدا حين رأيته كمعرفتى ابنى ومعرفتى لمحمد أشد فقال عمر بن الخطاب ، وكيف ذلك ؟ قال : « لقد بعث الله أمين سمائه جبريل ، إلى أمين أرضه محمد بنعمته فعرفته ، وابنى لا أدرى ما كان من أمه (١)

وكلام ابن سلام هذا يعنى أن وجه الشبه فى المشبه أقوى منه فى المشبه به على عكس ما يراد بالتشبيه فى البلاغة ، وإنما سيق التشبيه لتقريب المعنى فى الذهن أولا ثم ذكر بعد ذلك بما يقوى وجه الشبه فى المشبه عنه فى المشبه به .

والإنسان حقا لا يدرى على وجه اليقين هل هذا الولد ولده أم لا ، أما أن يعرف أن محمدا هو رسول الله حقا وصدقا فهذا مما لا شك فيه .

ومن أجل هذا غضبت أم عبد الله بن حذافة منه حينما سأل النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : من أبى يا رسول الله ، فقال النبى : أبوك حذافة فلما علمت أمه قالت له : ما سمعت بابن أعق منك آمنت أن تكون أمك

---

(١) تفسير القرطبى ط الشعب ص ٥٤٥

عارفت ما يقارف نساء الجاهلية فتفضحها على أعين الناس فقال : والله لو ألحقني بعبد أسود للحقت به »[1]

والآية الكريمة (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)

يجرى معناها على أمر تحويل القبلة ، وأنه الحق الذى لا شك فيه ، ثم يستتبع هذا المعنى معنى غيره وهو أمر معرفتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (الذى يجدونه مكتوبا باعندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) الاعراف ١٥٧

ذلك لأن الحديث عن القبلة ، وعن أمر تحويلها، ولم يسبق ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتباره فى قوله سبحانه(يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) من قبيل أن الخبر والمخبر به أو البلاغ ومبلغه قضية واحدة لا تقبل التجزئة لأنهما كليهما من عند الله سبحانه أمرا وتوجيها (فول وجهك شطر المسجد الحرام) فشمل الأمر فى قوله « فول » المأمور والمأمور به .

ومعنى هذا أن أى تكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر كلف العمل به ، أو الإبلاغ عنه يعد تكذيبا مباشراً لله وليس لرسول الله ، لأنه كما أخبر عنه ربه بقوله (ما على الرسول إلا البلاغ) المائدة ٩٩ وقوله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)

---

(١) السابق ص ٢٣٢٧

وينص القرآن على ذلك فى صراحة فيقول : (قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) (الأنعام ٣٣)

فلما بلغ الأمر مبلغه ، والكتاب أجله ، فى القبلة التى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوجه إليها أول مافرضت عليه الصلاة ، وثبتت قيادة المسلمين الروحية لبيت المقدس هداه الله إلى القبلة الحقيقية التى عليها الأنبياء قبله وهى التوجه شطر المسجد الحرام ، الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وأمر بتطهيره منذ رفع قواعده على يد أبى الأنبياء إبراهيم وابنه اسماعيل (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) البقرة ١٢٥ (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) الحج ٢٦

وكان ذلك من تمام نعمة الله على رسول الله وعلى أمته (ومن حيث خجرت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون) البقرة ١٥٠

وتحت قوله تعالى (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى) .

كلام كثير يدل بما لا يحتاج إلى تأويل على أن الحجة كانت تتوجه إلى رسول الله لو أنه استمر متوجها إلى بيت المقدس ، أما ما يقوله الذين ظلموا ممن يعرفون أنه الحق (فلا تخشوهم واخشونى) أى اطرحوا أمرهم

فى الجدال والمحاجة والمخاصمة ، واتبعوا أمرى .

ولكى يثبت الله قلوب المؤمنين على الحق الذى أراده لهم ، من غير خلط برأى أو اتباع لهوى ، عرفهم قيمة نعمة تحويل القبلة فجعلها تعدل نعمة الرسالة والمرسَل فقال : (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) البقرة ١٥١

(والتشبيه واقع على أن النعمة فى القبلة كالنعمة فى الرسالة[١] والتقدير : ولأتم نعمتى عليكم تماما مثل نعمة إرسالنا محمدا صلى الله عليه وسلم فيكم .

والفقهاء على أن تحويل القبلة كان أول نسخ بالقرآن للسنة ، وأنه نسخ مثل بمثل ، ولكن المثانية والخيرية معا متحققتان فى أمر تحويل القبلة تحقيقا لقول الله تعالى «ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها» (البقرة ١٠٦)

وهو نسخ فرض (وليس ينسخ فرض أبداً إلا أثبت مكانه فرض ، كما نسخت قبلة بيت المقدس فأثبت مكانها الكعبة)[٢]

وقد كانت القبلة للصلاة لازمة لا بد منها ، لأن الصلاة تحتاج إلى نية وقبلة ، نية لأنها عمل لابد له من نية ، وقد قال رسول الله صلى عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى)

---

(١) الرسالة للامام الشافعى ص ١٠٩

(٢) الرسالة للامام الشافعى ص ١٠٩

وتحتاج إلى قبلة حتى يكون المسلمون صفا واحدا كالبنيان المرصوص ولأنه لو لم تكن القبلة لصلى كل واحد وما أراد، وولى وجهه الوجهة التى يريدها، فيتدابر المسلمون، ويختلفون فتختلف قلوبهم.

وكلتا القبلتين بأمر الله سبحانه، وبفرض الله سبحانه، وكلتاهما كان حقا فى وقته (كان أول ما فرض الله على رسوله فى القبلة أن يستقبل بيت المقدس للصلاة، فكان بيت المقدس القبلة التى لا يحل لأحد أن يصلى إلا إليها فى الوقت الذى استقبلها فيه رسول الله، فلما نسخ الله قبلة بيت المقدس ووجه رسوله والناس إلى الكعبة، كانت الكعبة القبلة التى لا يحل لمسلم أن يستقبل المكتوبة فى غير حال من الخوف غيرها، ولا يحل أن يستقبل بيت المقدس أبدا، وكل كان حقا فى وقته، بيت المقدس من حين استقبله النبى صلى الله عليه وسلم إلى أن حول عنه الحق فى القبلة، ثم البيت الحرام الحق فى القبله إلى يوم القيامة)(١)

وكلام الإمام الشافعى رضى الله عنه يحمل المعنى وضده، لأنه إذا حل حكم مكان حكم آخر وبطل العمل بالأول بإحلال الآخر محله فهو نسخ (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون) النحل ١٠١

وإذا كان كل حقا فى وقته، زال حكم الأول بانتهاء أسبابه، وبلوغه الغاية التى شرع من أجلها، ثم ثبت حكم الثانى لوجود مقتضاه، فلا نسخ فى الحقيقة.

---

(١) السابق ص ٢٣٠

وبهذا نخرج من الخلاف الكبير الذى دار بين فقهاء الإسلام ولا يزال فى أمر النسخ ، وهل هو موجود بالفعل أم لا

هذا مع ملاحظة أمرين لا بد من التفطن لهما ، والتنبه إليهما :

أولا : أن النسخ وارد فى القرآن الكريم فى أربع آيات ثنتان منهما بمعنى المحو والإبطال والإزالة ، وثنتان بمعنى الإثبات والانتقال .

أما المعنى الأول فهو وارد فى قول الله سبحانه (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) البقرة ١٠٦

وقوله : (فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) الحج ٢٢

وأما المعنى الثانى فهو وارد فى قوله تعالى : (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) الجاثية ٢٩ وقوله (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون (الأعراف ١٥٤)

وذلك يعنى أن كلمة النسخ من ألفاظ الأضداد فى اللغة ، تحمل المعنى وضده والذى يميز بين كلا المعنيين هو السياق الواردة فيه .

وأنها إذا كانت تعنى النسخ إلى بدل ، فمعناها فى القرآن الكريم كله إبطال الحكم وإثبات التلاوة للآية المنسوخة ، وإعمال الآية الناسخة حكما وتلاوة ، ليتحقق معنى الخيرية فى قوله سبحانه (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)

وليظهر فضل الله ، ورحمته بخلقه ، وتخفيفه عنهم ، وتوسعته عليهم ، إذا ووزن بين ما ابتدأهم به من الأحكام ، وما انتهى إليه ، وهم فى كلا

حاليهم راضون مؤتمرون فاستحقوا بذلك جزيل الثواب ، والنجاة من العقاب

وليتحقق كذلك معنى أن الله سبحانه هو الذى ينسخ ما يشاء ، ويثبت ما يشاء لآياته وما رسول الله إلا مبلغ عن ربه ما يوحى به إليه .

وذلك واضح فى قوله جل شأنه (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم) يونس ١٥ .

وإذا كانت كلمة النسخ تعنى النسخ بمطلق المعنى ، أى الإبطال والإزالة لما ألقاه الشيطان فهو ما يسمى النسخ إلى غير بدل ، وهو واضح فى قوله سبحانه (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) الحج ٥٢

ومن هنا يتبين أن النسخ إلى بدل تكون كلتا الآيتين الناسخة والمنسوخة من عند الله سبحانه (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون)

وأن النسخ إلى غير بدل تكون الجهة متغايرة (فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) ويكون مطلق المعنى من الإبطال والإزالة هو المقصود لذاته (١) .

---

(١) راجع الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار ص ٢٣

ثانيا : أن الخلاف فى النسخ ، وهل هو حقيقة أم لا يختلف باختلاف النظرة التأويلية ، فإن كان بالموازنة بين ما كان وما صار إليه فهو نسخ . وإن كان باعتبار الغاية التى من أجلها شرع الحكم ، ثم جدت أسباب تستوجب — برحمة الله وتوفيقه ومنته — حكما آخر فلا نسخ لأنه كما قال الإمام الشافعى — رضى الله عنه — « وكل كان حقا فى وقته »

وما قيل عن النسخ إلى بدل فى القرآن الكريم يقال عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتداء وانتهاء ، وإبطالا واثباتا ، حتى لا يتمسك جماعة بحديث منسوخ ، وآخرون بحديث ناسخ ، فيقع الخلاف ، وبهذا يتوحد فقهاء الإسلام على كلمة سواء .

والأمثلة على إثبات الناسخ والمنسوخ من السنة كثيرة لا تحصى منها على سبيل العد لا الحصر حديث النهى عن زيارة القبور ثم الأمر بزيارتها (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها) وفى رواية (إنى نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإن فيها عبرة « ولا تقولوا مايسخط الرب » والحديث مروى من طرق كثيرة ، يعضد بعضها بعضا ، وفى متنه اتفاق فى بدايته واختلاف فى التعبير فى نهايته ، وهو صحيح على شرط مسلم (١)

وحديث عدم الغسل مع الإكسال الذى رواه أبى بن كعب رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، إذا جامع أحدنا فأكسل ؟ فقال رسول الله صلى

---

(١) راجع الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار لمحمد بن موسى الحازمى ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ وقد اخرج الحديث ابن حبان فى صحيحه فى كتاب الطهارة .

الله عليه وسلم : « يغسل ما مس المرأة منه وليتوضأ ثم ليصل »

كان هذا فى مبدأ الإسلام ، ثم حدثت السيدة عائشة رضى الله عنها عروة بن الزبير أن رسول الله « كان يفعل ذلك ولا يغتسل وذلك قبل فتح مكة ، ثم اغتسل بعد ذلك وأمر الناس بالغسل »(١)

وقد أخرج هذا الحديث الإمام أحمد فى مسنده، والبخارى عن طريقين طريق عطاء بن يسار وطريق أبى بن كعب ، وكلاهما فى باب «غسل مايصيب من فرج المرأة»(٢)

ويؤيد ما روته السيدة عائشة رضى الله عنها قول الله تعالى (وإن كنتم جنبا فاطهروا) المائدة ٦

وقوله (ولا جنبا إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا) النساء ٤٣ بمطلق لفظ الجنابة أى بانزال وبغير إنزال ، وذلك يعنى أن طهارة الجنب الغسل بضم الغين دون الوضوء وليس غسل بفتح الغين ما مس المرأة منه ثم الوضوء(٣) .

وأما موضوع القبلة الذى نحن بصدد بيانه فهو وارد فى الكتاب والسنة ، وله صلى الله عليه وسلم فى ذلك هدى فعلى فلما حول الله وجهه شطر المسجد الحرام تحول وتحول الصحابة معه ، وقد بدأ الله به أولا حيث قال (فول وجهك شطر المسجد الحرام) ثم خاطب من اتبعه وآمن به من الصحابة ومن يلونهم إلى يوم القيامة فقال :

---

(١) المصدر السابق .

(٢) راجع شرح صحيح البخارى ٢٩٦/١ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨

(٣) راجع الرسالة للامام الشافعى ص ١٦٢

(وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره)

هذا وقد اتفق الناس واتفاق الأمة واجتماعها على حكم إجماع - على أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس قبل الهجرة وبعدها بسنة وأشهر ثم نزلت آية النسخ ، أو آية تحويل القبلة إلى المسجد الحرام .

وأما الاختلاف فى المنسوخ ، وهل هو ثابت بالسنة ثم نسخ بالكتاب أم هو ثابت بالكتاب ثم نسخ بالكتاب ، فهو اختلاف شكلى ، ولا طائل وراءه ، وذلك للأسباب الآتية :

أولا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتوجه إلى بيت المقدس بأمر نفسه وإنما بأمر الله له ، مصداق ذلك قول الله سبحانه « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » .

فنسب ذلك إلى نفسه بضمير العظمة الإلهية — جل شأنه - ولو أنه كان بأمر نفسه أو باجتهاد منه صلى الله عليه وسلم لقال : وما جعلت القبلة التى كنت عليها ... بتاء الخطاب الموجه إليه صلى الله عليه وسلم وفى ذلك التعبير القرآنى دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتوجه ويتصرف بأمر ربه ، حتى لو لم ينزل عليه قرآن صريح .

ثانيا : أن الأمين جبريل هو أول من أمّ رسول الله فى الصلاة ، ليبين له كيفية الصلاة ، وعدد ركعاتها ، ووقتها ، والقبلة التى يتوجه إليهـا ، ثم صلى النبى بعد ذلك بصلاة جبريل ، ولم يكن جبريل ليتوجه فى إمامته لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس بأمر نفسه ، وإنما بأمر الله سبحانه ولو أن الله أنزل فى قبلة بيت المقدس قرآنا ، لاحتاج البيان

القرآنى ، إلى بيان فعلى تطبيقى ، ولنزل الأمين جبريل ليحدد الجهة ، حتى لا يكون هناك أدنى خلاف .

ثم صلى الصحابة بعد ذلك بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم وتوجهوا إلى بيت المقدس فى صلاتهم حتى صرف النبى إلى الكعبة ، فصرفوا كذلك نحوها يقول البراء بن عازب (صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ، أو سبعة عشر شهرا ، ثم صرفنا نحو الكعبة)(١)

وحدث أنس بن مالك (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى نحو بيت المقدس فنزلت « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، فمر رجل من بنى سلمة وهم ركوع فى صلاة الفجر ، وقد صلوا ركعة ، فنادى : ألا إن القبلة قد حولت ، فمالوا كما هم نحو القبلة)(٢)

ولما مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس ، قال الناس : ما حالهم فى ذلك ؟

فأنزل الله « وما كان الله ليضيع إيمانكم »(٣)

ولو أن أمر القبلة كان باختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاختار

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٥/١٠

(٢) السابق ٥/١١

(٣) ابن كثير ط الشعب ١/٢٧٨

التوجه إلى الكعبة ، لأنه كان يعلم أنها قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام ، والدليل على ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يوجه وجهه فى صلاته إلى بيت المقدس استجابة لأمر الله سبحانه ، فإذا فرغ من صلاته كان ينظر إلى السماء فاستجاب الله لنبيه فنزلت (قد نرى تقلب وجهك فى السماء)[١]

وأما قول من قال : إنه صلى إلى المسجد الأقصى عن رأى منه واجتهاد أو أنه خير فاختار الندس طمعا فى إيمان اليهود واستمالتهم ، فأقوال يجب تصفية كتب التفسير منها ، لأنها تسىء ولا تحسن ، وتضر ولا تنفع والذى عليه الجمهور ابن عباس وغيره أنه (وجب عليه استقباله بأمر الله تعالى ووحيه لا محالة ، ثم نسخ الله ذلك ، وأمره الله أن يستقبل بصلاته الكعبة (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه)[٢]

ثالثا : أن الله بعد أن قال (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) بمطلق الإتيان قرآنا كان أم سنة ، فكل كلام يقال بعد ذلك ، ولا يجرى تحت هذا المنظور القرآنى يعد من زيغ الهوى ، وصرف الطبيعة لأن منطوق الآية صريح فى أن رسول الله فى كل أموره فيما يأتى أو يدع أو يقول أو يقرر موجه توجيها إلهيا ، وصدق الله حين قال عن نبيه (وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى) (النجم ٣ ، ٤ ، ٥)

---

(١) القرطبي ط الشعب ص ٥٣٢

(٢) السابق ص ٥٣٣

وفى هدى النبوة الطاهر ينبغى أن تمتد العين فى ضوئها الثاقب ، وبصرها الحديد من المنظور إلى غير المنظور وكأنها فى جذب مغناطيس النبوة لها سر يكشف عن السر .

رابعا :

أن السنة منزلة من عند الله سبحانه ، يقذفها الله فى ورع نبيه صلى الله عليه وسلم معنى ، ويلقيها صلى الله عليه وسلم بيانا له فى النفوس مساغ ، وفى الطبيعة البشرية صفة النفاذ ، لأنه يحقق لها حياة أخلاقها ، ومابه وجودها وقوامها ، وقد عبر الله عنها بالحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فقال : (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة) والعطف على نية تقدير العامل أى (وأنزل عليك الحكمة) والواجب على الناس اتباع مابعث الله به رسوله ، لأنه سيعلمهم إياها كما يعلمهم الكتاب شأنه فى ذلك شأن جميع الرسل قبله فقد أوتوا الحكمة ، وعلموها أممهم ، وورد هذا المعنى فى القرآن الكريم مجملا ومفصلا ، فأما المجمل ففى قوله سبحانه «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما » النساء : ٥٤

وآل إبراهيم كل من خرج من صلب أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام من الذين اصطفاهم الله واختارهم لرسالته ، من صلب إسرائيل أو من صلب إسماعيل .

ولذلك كانت دعوة إبراهيم عليه السلام ، وامتداد نور بصيرته حين قال : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب

والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » البقرة : ١٢٩

وكانت استجابة الله لتلك الدعوة ، فأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأخبر عن ذلك مرتين : مرة بالمنة لأن بعث رسول الله فى الأميين أعظم نعمة منّ الله بها على هذه الأمة فقال : (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) آل عمران : ١٦٤

وأخرى بتصدير الآية بما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم مختار القدرة الإلهية فقال : (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) الجمعة : ٢

ومن المجمل الجامع فى القرآن الكريم كذلك قول الله سبحانه : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه)[1] فكل نبى أوتى الكتاب وأوتى الحكمة وإذا كانت الحكمة هى السداد فى القول والعمل ، فسداد الأنبياء وصوابهم فى أقوالهم وأفعالهم مدعوم بالعصمة التى تنتزع كل معانى الضعف والنقص البشرى وتجعله ممتلئا بالكمال ، ثابتا بالحق ، فإذا خالط القلوب تنضرت من يبس ، ورقت من غلظة ، وانحنت لغير المعانى الذليلة ، وسجدت بين

---

(١) آل عمران ٨١

ربها لتدرك معنى الجلال الأعظم ، وذلك هو الفرق بين حكمة المعصوم ، وحكمة البشر العادى .

وأما تفصيل هذه الصفة فى قول الله سبحانه (ولقد آتينا لقمان الحكمة) لقمان : ١٢

وقوله لعيسى عليه السلام (وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) المائدة : ١١٠

وقوله لعيسى عليه السلام أيضا (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) آل عمران : ٤٨

وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة) الإسراء : ٣٩

وقوله فى شأن داود عليه السلام (وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) البقرة : ٢٥١

خامسا :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ألا وإنى قد أوتيت الكتاب ومثله معه»[1] .

ومعنى ذلك : أنه أوتى الكتاب وحيا يتلى ، وأوتى من البيان مثله فالسنة هى بيان القرآن الشافى (إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه) القيامة : ١٧ ، ١٨ ، ١٩

---

(١) القرطبى ط الشعب ص ٣٢

بهذا يتضح لنا أن نسخ القرآن بالقرآن ، أو نسخ السنة بالقرآن فى قضية تحويل القبلة ، أو فى غيرها من القضايا التى جرى فيها نسخ فى الشريعة الإسلامية أمر ، البحث فيه من باب الجدل العقيم الذى لا يثمر إلا التخبط فى دروب من المتاهات الفكرية والفلسفية ، ومادامت السنة ثابتة وصحيحة فى نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قولية أو فعلية أو تقريرية أو وصفية ، فإن الأخذ بها واعتبارها أمر لا يتم إيمان المرء إلا به ، ولا يتم التشريع إلا به ، ولا تصير المعانى إلى حقائقها العملية إلا به فإذا نسخت بسنة مثلها ، أو بوحى يتلى فليس على المسلم الصادق الا اليقين والإذعان ، لأنهما كليهما من عند الله ، ولو كانا من عند غير الله لوجدوا فيهما اختلافا كثيرا ، فليس كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبيل خيال لاح فى وجدانه ، ولا منطق اقتنع به فى عقله ، ولا فلسفة نجح فى إيجاد علاها ، وإنما هو كلام يقربه قرار المرء من حيث الإيمان ، وتفصل به قضايا التشريع تفصيل بيان وبرهان ، وتصير به المعانى الأخرى من الوعظ والقصص والأمر والنهى ، والوعد والوعيد إلى حقائقها التى تغرس فى نفس المؤمن ثمرة اليقين لأنها مصحوبة بالأسوة الحسنة ، والسلوك العملى لصاحب الشرع صلى الله عليه وسلم .

إذن فلا خلاف ولا تناقض ولا تنافر بين الناسخ والمنسوخ لأنهما خير والخير درجات بعضها أعلى من بعض .

وليس يصح الوقوف عند ظاهر النص ، أو الأمر ، لأنه جل شأنه له حكمة فى كل أمر ، قد تخفى هذه الحكمة على الإنسان فى وقت ، ولكنها

لايخفى على القارىء الفاهم الواعى المتدبر الذى له وراء كل معنى معنى ، ولا يبرح عاملا على تحقيق قول الله تعالى « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر أولوا الألباب » ص ٢٩ وقوله : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) محمد : ٢٤

وعلى سبيل المثال فإنه لايخفى على القارىء المتدبر المعنى الذى يربط بين أول آية فى سورة الإسراء (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) الإسراء : ١

وبين الآيات التى تلتها مباشرة والتى تحدثت عن موسى عليه السلام والكتاب الذى أنزل إليه ، والغاية التى من أجلها أنزل : (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا . ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا) الإسراء : ٢ : ٣

ثم تحدثت عن بنى إسرائيل ، وعن إفسادهم فى الأرض مرتين ، وعن المغالبة بين الحق والباطل فى كلتا الإفسادتين ، ثم انتصار الحق على الباطل فى المرة الثانية والأخيرة لأن الحق ظاهر وظاهر أصحابه لايضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله .

فهم أعنى أصحاب الحق هم الذين يعنيهم القرآن بقوله : (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) الإسراء : ٥

وهم الذين عناهم القرآن بقوله : (فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم)

وتقدير الآية يؤخذ من آية « فإذا جاء وعد أولاهما » .

ويكون فإذا جاء وعد الآخرة بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد ليسؤوا وجوهكم ولتدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ماعلوا تتبيرا .

والبيان الذى ينبىء عن غيب سيكون ، وعن إفساد سيحدث ، وعن عدد مرات الإفساد ، وعن الذى يترتب على كل إفساد ، وعن انحسار مد الشر على يد عباد لله أولى بأس شديد ، وعن المغالبة بين الحق والباطل ، وأن علو الباطل وظهوره لا يكون إلا فى غيبة أو فى ضعف أصحاب الحق ، وأن قانون الله بنصرة من ينصره ، وخذلان من يكفره ، وأن معيته لاتكون إلا لمن توافرت فيه شروط معينة .

فإذا استوى المسلم والكافر فى معصية الله فإن الله لن يحابى شعبا على شعب ولن ينصر عبدا على عبد ، ولابد من رجحان الكفة ، وتميز السلوك ، حتى يقال ، أو يصح أن يقال : هؤلاء حزب الرحمن ، وهؤلاء حزب الشيطان .

أقول : البيان القرآنى الذى يكشف عن كل هذه الحقائق الغيبية أو المقررة ، ويأتى تاليا تلواً مباشرا لحديثه عن قضية الإسراء والمعراج ، وتحديد البدء والنهاية فيها لايخفى إيحاؤه على القارىء الواعى المتدبر لكلام الله المؤمن بأن الترتيب التوقيفى لآيات القرآن الكريم ، الحكمة فيها أكبر بكثير مما لو رتبت حسب النزول .

وهنا يجىء ماسبق أن أشرنا إليه من قبل ، وهو أن بنى إسرائيل بعد أن أتاهم الله ماحكاه فى القرآن الكريم بقوله (ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين) الجاثية : ١٦

وأخذ العهد والميثاق عليهم (ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله إنى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيآتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل) المائدة : ١٢

نقضوا ميثاقهم فنقض الله شرطه لهم ورفع معيته عنهم (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين) المائدة : ١٣

وأفسدوا فى الأرض إفسادا كبيراً بما أخبر الله به عنهم بسابق علمه الأزلى الذى تنكشف به جميع المعلومات ، ولا يزالون على سوء طبعهم من الخيانة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) .

فلما بلغ بهم الإفساد مبلغه ، وبعث الله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، ورفع الله ولايتهم عن بيت المقدس ، وسلبهم ما به رفعتهم وعزهم لو أنهم تمسكوا به ، وهو الميثاق الغليظ كما عبر عنه القرآن الكريم : « وأخذنا

منهم ميثاقا غليظا » وجزاهم أسوأ جزاء بما صنعوا ، وفضحهم فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع (فبما نقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ، وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) .

(وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) النساء ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧

أقول : لما فعلوا كل ذلك رفع الله ولا يتهم على بيت المقدس ، وكانت إشارة البدء والتنفيذ فى وصوله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ، وعروجه منه ، وهبوطه إليه فكان من الطبيعى أن يتحدث القرآن بعد ذلك عن إفسادهم وبغيهم وعتوهم ليتسق السياق ويجتمع المعنى من جميع أطرافه .

وكان من الطبيعى كذلك لكى يتحقق هذا الرمز القرآنى من الحديث عن إسرائه صلى الله عليه وسلم إلى الحديث عن فساد بنى إسرائيل إن يشفع ذلك الرمز التطبيق العملى ؛ فكان أمره صلى الله عليه وسلم ومن معه بالتوجه إلى بيت المقدس فى صلاتهم .

ولولا مظاهرة آيات القرآن الكريم التى تحدثت عن بنى إسرائيل بعضها بعضا ، والتى شدت خيط المعانى الدقيقة بين الآيات التى بدئت بها سورة الإسراء . لحدثت فجوة خطيرة وكبيرة فى المعنى والسياق تلك - فى تصورى - هى الخطوط الرئيسية فى التوجه إلى بيت المقدس[1] .

---

(١) فتح بيت المقدس صلحا على يد الفاروق عمر بن الخطاب لخمس خلون =

منذ فرضت الصلاة قبل الهجرة ، واستمرارها بعد الهجرة بستة عشر شهراً كما ورد فى الحديث الصحيح . أما تحويل القبلة إلى المسجد الحرام فقد كان أمرا طبيعيا بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها قبلة أبيه إبراهيم ، وقبلة الأنبياء قبله كما ذكرنا من قبل ، وليرفع الله بها أقواماً ويضع آخرين (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) البقرة : ١٤٣

وليعلم الناس جميعا أن المشرق والمغرب لله (قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم « البقرة ١٤٢ » ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) البقرة : ١١٥

(رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) المزمل : ٩

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى

= من ذى القعدة سنة ستة عشرة من الهجرة بعد موت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وأشهر ، وانظر : إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٢٧٥ ومعجم البلدان لياقوت : ١٧١/٥ . وله أسماء كثيرة . قال مقاتل ابن سليمان قوله تعالى (ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين) قال : هى بيت المقدس ، وقوله تعالى لبنى إسرائيل : (وواعدناكم جانب الطور الأيمن) يعنى بيت المقدس ، وقوله تعالى : (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) قال : بيت المقدس ، وقال تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا) هو بيت المقدس وقوله تعالى : (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) بيت المقدس معجم البلدان ١٦٦/٥

القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) البقرة . ١٧٧

وعلى الرغم من هذا البيان القرآنى الشافى الذى أخبر أن الحكم والتصرف والأمر كله لله وأن (الشأن كله فى امتثال أوامر الله ، فحيثما توجهنا ؛ فالطاعة فى امتثال أمره ، ولو وجهنا فى كل يوم مرات إلى جهات متعددة ، فنحن عبيده ، وفى تصريفه وخدامه ، حيثما وجّهنا توجهنا)[1] .

أقول : على الرغم من كل ذلك ظهر المبطلون من المنافقين الذين أسلموا بألسنتهم ، ولم يصل الإيمان إلى قلوبهم .

وظهر المرتابون من اليهود الذين قالوا ماحكاه الله عنهم قبل أن يقولوه (ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها) فرد الله عليهم بقوله (قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) .

وليس الإعجاز البيانى فى آية (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها) قاصراً على أنه جل شأنه كاشفهم بما فى سرائرهم ، وأخبر عنهم بما سوف يقولونه قبل أن يقولوه ، وتتحرك به ألسنتهم ، وإنما ينضاف إلى ذلك أن الفعل المضارع أفاد المستقبل لا محالة بتصديره بحرف التنفيس (السين) وأفاد معنى التجدد والحدوث والاستمرار بصيغته ، وذلك يعنى أن هذا هو دأب اليهود وديدنهم ولا يفارقهم طعنهم ، ولا يتخلون عما جبلوا عليه من اللغو والباطل ، لإفساد كل صحيح (والله لا يحب المفسدين) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢٧٥ طبعة الشعب .

مع أن فى حديث رسول الله مايشير إلى أنهم هدوا إلى القبلة الصحيحة ولكنهم ضلوا عنها ، وفى الحديث الذى رووته السيدة عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله فى أهل الكتاب « إنهم لا يحسدوننا على شىء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين » (١)

ولى فى معنى الحديث الشريف تصور أسأل الله أن يكون صحيحا ، لأن يوم الجمعة لنا ولليهود السبت وللنصارى الأحد ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر ، وذلك من تكريم الله تعالى لهذه الإمة أن جعل يوم عيدها يوم الجمعة ، وهو كما قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة : فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها) (٢)

وفى ضوء هذا الفقه لمعنى التعبير النبوى الشريف يكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم (إنهم لا يحسدوننا على شىء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها) أن الهداية هنا هداية دلالة وكونهم ضلوا عنها ، أى لم يدلهم الله على هذا اليوم ، ولم يهدهم إليه وإنما جعل عيدهم يوم السبت الذى خالفوا فيه أمر ربهم ، واحتالوا فيه على الأمر الإلهى ، ولم يعرفوا أن ظهور الحيتان فى يوم السبت ، وعدم ظهورها فى الأيام الأخرى ابتلاء من الله لهم واختبار لإيمانهم (إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا

---

(١) ابن كثير /٢٣٥

(٢) رياض الصالحين ص ٣٥٤ والحديث رواه مسلم

ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) الأعراف ١٦٣

فكان جزاؤهم بعد أن خالفوا أمر الله لهم (وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) النساء ١٥٤

أن مسخهم الله قردة ، وحذر من لم يمسخهم أن يصيبهم ما أصاب من من مسخهم إذا هم خالفوا أمر الله أو نهيه (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) البقرة ٦٥

وذلك من العدل الإلهى فى العقوبة ليكون من خالف عبرة لغيره (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) النحل ١٢٤

وقد بنينا هذا التصور على أساس صحيح ، لأنه من المعلوم أن المطلق يقيد والعام يخصص .

أما الأمر فى القبلة فهو مختلف لأن شواهد النصوص القرآنية كما عرضناها فى أول هذا المقال تدل على أن الكعبة قبلة جميع الأمم ، فإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وعلى القبلة (أى ويحسدوننا على القبلة) التى هدانا الله لها وضلوا عنها » فمعناه أنهم الذين ضلوا عنها بعد أن هداهم الله إليها ، ومصداق ذلك الفهم لمعنى الحديث الشريف قول الله تعالى لنبيه (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين) البقرة ١٤٥

وذلك يدل عن أنهم انحرفوا عن القبلة الصحيحة عمدا ، فلما طال بهم

الزمن زاد ضلالهم ، نسوا ما كانوا عليه من قبل ، وتشبث كل فريق بما هو عليه من الضلال ، ظنا منهم أن هذا هو الطريق المستقيم ، فضل سعيهم لأنهم لم يعد عليهم نفعه وحق عليهم قول الله سبحانه (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) الكهف ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥

ومما يؤيد ذلك ما رواه الإمام أحمد فى « المسند » أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس ، قال حماد بن سلمة : فحدثنى أبو سنان عن عبيد بن آدم قال : سمعت عمر رضى الله عنه يقول لكعب : أين ترى أن أصلى ؟ قال : إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة وكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر رضى الله عنه ضاهيت اليهودية ، لا ، ولكن أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه ، فكنس الكناسة فى ردائه وكنس الناس .

فعاب رضى الله عنه على كعب مضاهاة اليهود ، أى مشابهتها فى مجرد استقبال الصخرة لما فيه من مشابهة من يعتقدها قبلة ، وإن كان المسلم لا يقصد أن يصلى إليها (١)

والكلمة الأخيرة فى أمر تحويل القبلة تدور حول اختلاف روايات الأحاديث الواردة فى هذه القضية ، وكيفية التوفيق بينها فظاهر رواية البخارى كما بدا لى أن أول صلاة صلاها رسول الله إلى الكعبة هى صلاة

---

(١) راجع مجموعة التوحيد لابن تيمية ص ٢٩٠

الظهر ، ثم انتقل الخبر بعد ذلك فى أرجاء المدينة فى أوقات مختلفة فمن الناس من وصلهم الخبر وهم فى صلاة العصر وهم بنو حارثة وكانوا فى داخل المدينة فتحرفوا وهم فى صلاتهم حتى توجهوا نحو الكعبة ، ومنهم من وصلهم الخبر فى صلاة الصبح كما تدل رواية البخارى أيضا وهم بنو عمر ابن عوف اهل قباء وكانوا خارج المدينة (١)

ويؤيد ما ذهبنا إليه نص رواية البخارى أولا ، ثم ما روى فى غير البخارى وقد جمعه العلامة القرطبى - رضى الله عنه - فأما نص رواية البخارى (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله يحب أن يوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) فتوجه نحو الكعبة ، وقال السفهاء من الناس - وهم اليهود - ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) فصلى مع النبى رجل ، ثم خرج بعد ما صلى ، فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ، وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة)(٢)

فقول الراوى - البراء بن عازب (فصلى مع النبى رجل ، ثم خرج بعدما صلى ، فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر) صريح فى أن الصلاة التى صلاها الرجل مع رسول الله كانت لفرض سابق وهو الظهر ، وأن الخبر

---

(١) راجع الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار هامش ص ١٢٧

(٢) راجع شرح صحيح البخارى ١/٢ ٥

الذى أخبرهم به كان لفرض لاحق وهو العصر لأن « ثم » تفيد الترتيب والتراخى ، ولو أنه قال : (فخرج بعد ما صلى فمر على قوم من الأنصار) بحرف الفاء الذى يفيد الترتيب والتعقيب ، لكان ذلك أقرب إلى الفهم أو القبول بأنها صلاة العصر وقد أفلت هذا المعنى من بين أصابع العلامة القرطبى فذكر أن أول صلاة صلاها رسول الله هي صلاة العصر أخذا من مفهوم الحديث وليس من منطوقه .

ينضاف إلى ما ذكرنا الروايات الأخرى ومنها رواية أبى سعيد بن المعلى عن نفسه (وذلك أنه كان مجتازا على المسجد ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بتحويل القبلة على المنبر وهو يقرأ هذه الآية (قد نرى تقلب وجهك فى السما) حتى فرغ من الآية فقلت لصاحبى : تعال نركع ركعتين قبل أن ينزل رسول الله ، فنكون أول من صلى ، فتوارينا بعماد فصليناها ، ثم نزل رسول الله فصلى بالناس الظهر يومئذ)(١)

وأما من وصلهم الخبر فى صلاة الصبح ، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداوروا إلى الكعبة فرواية الحديث فى البخارى أيضا عن (عبد الله بن عمر قال : بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة)(٢)

---

(١) القرطبى طبعة الشعب ص ٥٣

(٢) شرح صحيح البخارى ٦/ ٥٠٦

قال القرطبي (وفيها دليل على قبول خبر الواحد ، وهو مجمع عليه من السلف ، معلوم بالتواتر من عادة النبي صلى الله عليه وسلم في توجيهه ولاته ورسله آحاداً للآفاق ، ليعلموا الناس دينهم فيبلغوهم سنة رسولهم من الأوامر والنواهي)[1] .

وفي صورة حوار أجراه الشافعي — رضي الله عنه — في حجية تثبيت خبر الواحد قال : (فإن قال قائل : اذكر الحجة في تثبيت خبر الواحد بنص خبر ، أو دلالة فيه ، أو إجماع فقلت له : أخبرنا سفيان عن عبدالملك ابن عمير عن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه أن النبي قال :

« نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ...» « فلما ندب رسول الله إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها امرؤ يؤديها والامرؤ واحد ، دل على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه ، لأنه إنما يؤدى عنه حلال وحرام يجتنب ، وحد يقام ، ومال يؤخذ ويعطى ، ونصيحة دين ودنيا)[2]

وترك المتواتر المقطوع به من الشريعة بخبر الواحد وهو مظنون جائز في عهد رسول الله فقط ، لأن رسول الله كان حيا وبين ظهرانيهم ، وهو الذي كان يرسل رسله لتبليغ ما أمره به ربه ، ولا يستطيع رسولُ رسولِ الله أن يبلغ إلا ما أمره رسول الله بتبليغه ، أو ما رأى النبي يفعله بنفسه كما هو في أمر القبلة ، ثم إن رسول الله كان لا ينفذ إلا من يعرف صدقه وأمانته

---

(١) القرطبي طبعة الشعب ص ٥٣٠

(٢) الرسالة للشافعي ص ٤٠١ ؛ ٤٠٢ ، ٤٠٣

ودرجة إيمانه ، والصحابة كانوا لايستجيبون أيضا إلا لمن هذه صفاته وتتمة الموضوع نقطع القول فى المسجد الحرام ، وفى قول الله «فول وجهك شطر المسجد الحرام» .

أما المسجد الحرام فهو أول مسجد وضع فى الأرض (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين) وروى الشيخان البخارى ومسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال : (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع على الأرض ، فقال : المسجد الحرام قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : وكم بينهما ؟ قال : أربعون عاما ، ثم الأرض لك مسجداً فحيثما أدركتك الصلاة فصل) .

وقد ورد اسم المسجد الحرام فى القرآن الكريم فى خمس عشرة آية : ست آيات فى (البقرة) وواحدة فى (المائدة) وواحدة فى (الأنفال) وثلاث آيات فى (التوبة) وواحدة فى (الإسراء) وواحدة فى (الحج) وثنتان فى (الفتح)

والمراد بالمسجد الحرام المسجد الذى أضافه الله إلى نفسه بقوله « وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » الحج ٢٦

وقوله : « أن طهرا بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود » البقرة ١٢٥

وجعله مثابة للناس وأمنا «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا» البقرة ١٢٥

والتعبير بالمسجد الحرام أشمل وأعم لأنه يشمل الكعبة « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » المائدة : ٩٧ وهى قبلة لأهل المسجد .

ويشمل المسجد وهو قبلة لأهل الحرم ، ويشمل الحرم وهو قبلة لأهل الأرض فى مشارقها ومغاربها .

وقد نقل القرطبي حديثا لا أدرى مدى صحته عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « البيت قبلة لأهل المسجد والمسجد قبلة لأهل الحرم ، والحرم قبلة لأهل الأرض فى مشارقها ومغاربها من أمتى[1] » .

وأياما كان الأمر فإن الحق سبحانه فرض على رسول الله وعلى أمته أن يولوا وجوههم فى صلاتهم شطر المسجد الحرام إذا كان معاينا ، وإذا كان مغيباً فبالاجتهاد بالتوجه إليه[2] .

وشطره : جهته فى كلام العرب ، إذا قلت : (أقصد شطر كذا) معروف أنك تقول : (أقصد عين كذا) يعنى : تصد نفس كذا ، وكذلك : (تلقاءه) ، (جهته) « وهـــذا كله يبين أن شطر الشىء : تصد عين الشىء »[3] .

ولما كان المسجد الحرام أو البيت الحرام أو الكعبة أول مكان رفع منه دعاء إلى السماء من أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام بأن يتفضل على الدنيا بأمة مسلمة ، تحمل إلى الإنسانية الغارقة فى ظلمات الوثنية ، رسالة سماوية تخرجها من الظلمات إلى النور ، على يد نبى عربى كريم ، كما تقرر ذلك الآيات الشريفة من سورة البقرة « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا

---

(١) القرطبى ط الشعب ص ١ : ٥

(٢) راجع الرسالة للامام الشافعى ص ٣٨

(٣) الرسالة ص ٣٤ ، ٣٨

مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم »[1].

ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » البقرة : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩

أقول : لما كان المسجد الحرام أول مكان رفع منه الدعاء إلى الله ، فعلى كل مؤمن أن يدعو منه إذا كان حاجا أو معتمرا ، فإذا لم يتيسر له ذلك فعليه أن يتوجه إليه ساعة دعائه وضراعته إلى الله سبحانه ، حيثما كان ، وهو بذلك يكون أرجى للقبول والاستجابة إن شاء الله .

وإذا كان هذا بمطلق معنى الدعاء ، فأفضل الدعاء إلى الله سبحانه ماصدر من العبد فى الصلاة وفى السجود خاصة ؛ وفى الحديث الشريف (أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء)

فبركة القبلة إذن لا تقف عند الصلاة ، وإنما بالتوجه إليها كلما حزب الإنسان أمر ورفع يد الضراعة إلى من لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، لأنها محل نظر الله سبحانه ، من طاف بها له أجر ، ومن صلى فيها له أجر ، ومن نظر إليها له أجر ، ومن توجه إليها فى أى بقعة من بقاع الأرض له أجر .

هذا وبالله التوفيق

---

(١) معانى القرآن بين الراوية والدراية لأحمد حسن الباقورى ص١٣